Kalimah: Jurnal Studi Agama-Agama dan Pemikiran Islam
Available at:
http://ejournal.unida.gontor.ac.id/index.php/kalimah
DOI: http://dx.doi.org/10.21111/klm.v15i2.1493

ISSN 1412-9590
e-ISSN 2477-0396
Kalimah

أصول البراجماتية في ضوء العقيدة الإسلامية

Moh. Isom Mudin*
Email: elmutawaly@gmail.com

Syamsul Hadi Untung
Email: syams_untung@yahoo.com
Universitas Darussalam (UNIDA) Gontor Ponorogo

Abstract

Pragmatism is one of contemporary issues in Greek philosophy which was later developed by the number of modern figures such as William James, Webster and Charles Sender Pierce. Pragmatism is generally defined as a school of thought which considers everything based on every principle of benefit that it owned, knowledge for instance. Human seek the knowledge in order to make their life better. Due to the fact that pragmatism is built on the foundation that validity of an act and its value is evaluated from the advantages as its consequent, then everything shoul adhere to the principles. Pragmatism, in its progress, approves the harmony between the mind and human actions. Furthemore, the standard of absolute functions or benefits are referred back relatively to the subject. At this point, of we review the prgamatism from religion perspective, it could convey us to the relativism of truth. It can be concluded here that as an idelogy brought from the perspective of philosophy and religion, pragmatism should be strictly criticized from the view of Islam according to its negative implications toward religious understanding. This paper will try to elaborate on pragmatism chronologically, related to its contribution and relation toward Islamic Studies, expressing its principles associated with the perspectives of knowledge, akhlaq, and religiuos norms.

Keywords: *Pragmatism, Knowledge, Benefit, Islam, Aqeedah.*

Abstrak

Pragmatisme adalah salah satu isu kontemporer dalam filsafat Yunani yang kemudian dikembangkan oleh tokoh-tokoh modern seperti William James, Webster, dan Charles Sender Pierce. Pragmatisme secara umum mampu didefinisikan sebagai paham yang melihat sesuatu dari segala asas manfaat yang dimiliki, sebagai contoh adalah pengetahuan. Pengetahuan dimiliki manusia karena dia memiliki daya fungsi untuk menjadikan kehidupan manusia lebih baik. Karena sejatinya Pragmatisme dibangun di atas fondasi bahwa standar untuk menyatakan keabsahan suatu perbuatan dan nilainya dilihat dari hasil manfaat yang merupakan produksi konsekuensinya, maka segala sesuatu dilihat mesti tunduk pada asas manfaat tersebut. Dalam perkembangannya dapat dilihat

* Kampus Pusat UNIDA Jl. Raya Siman Km. 6, Siman, Kec. Ponorogo, Jawa Timur 63471 Telepon:(0352) 483762 Fax: (0352) 488182.

bahwa Pragmatisme menyetujui adanya keselarasan antara pikiran dengan perbuatan manusia. Maka standar keabsahan fungsi atau manfaat yang dimaksud kembali secara relatif kepada subyek. Di sinilah kemudian kaitannya dengan agama, paham pragmatisme mampu mengantarkan pada relativisme kebenaran. Dapat disimpulkan kemudian di akhir makalah ini bahwa sebagai ideologi yang lahir dari sudut pandang filsafat dan agama, pragmatisme mesti dikritis secara tegas dari sudut pandang Islam terkait dengan implikasinya yang sangat negatif terhadap pemahaman agama. Makalah ini akan mencoba mengelaborasi paham pragmatisme secara kronologis, terkait kemudian dengan kontribusi dan relasinya terhadap studi keislaman, mengemukakan prinsip-prinsipnya terkait dari sudut pandang pengetahuan, akhlaq, dan norma agama.

Kata Kunci: *Pragmatisme, Pengetahuan, Manfaat, Islam, Akidah.*

مقدمة

البحث عن العقيدة الإسلامية بالمنهج العلمي شيئ هام في هذا العصر. لأن الأفكار المضادة والآراء المضلة والإيديولوجيات التي تحدد معاير الصحة والصدق من نوع جديد أمام المسلمين اليومَ، منها ما يسمى بـ"الإيديولوجي البراجماتية." وهذه طريقة التفكير الغربي في تقييم الحقيقة قد حُقن في العالم الإسلامي، ولقد تغلغلت تلك الإيديولوجية في معظم شؤون الحياة، وتبنى أفكارها كثيرٌ من المثقفين، وطبق نظريتها كثير من أبناء البشر، ويصبح منهجا عند بعض المفكر المسلم المعاصر وعامة الناس في تقرير حياتهم. عندئذ، قد ارتباك التفكير، فاختلط العلم بالوهم، والتبس اليقين بالظن، ويحجب الحق والباطل. فينبغى للمسلمين أن يكون لهم منهج صحيح في تقرير العقيدة الصحيحة، بل أشد حاجةً إلى ذالك.

هذه النظرية هي من الخطر بمكان، إن لم نفرق بين أجزائها، ونلقِ الضوء عليها، ونُزِلْ ما قد يقع في أذهان البعض من شبهات، عندما يرى

عباراتها المعسولة ونتائجها المقبولة، ويغفل عن اللوازم المترتبة على ذلك، ويتغاضى عن الطريقة التي سارت فيها، لتصل إلى تلك النتائج. فرأى الباحث أن يساهم، ولو بشيء يسير في التعريف بالمذهب البراجماتي، وبيان أسسه ومبادئه، وأبرز رموزه وأنماطه، ونظرياته من المعرفة والأخلاق والدين، ومناقشته من وجهتي النظر الفلسفية والدينية، انطلاقاً من عقيدة إسلامية صحيحة، من غير كسر عليه، أو تعسف في فهمه.

تعريف البراجماتية

اشتق كلمة "البراجماتية من اليوناني (*Pragma*) وتعني به العمل، ويؤخذ منها كلمة عملي.[١] وذكر معناها الإصطلاحية معجم ويبستر العالمي (*Webster*)، بأنها تيار فلسفي أنشأه "تشارلز بيرس *Charles Senders Pierce*" و"وليام جميس *Will James*،" وهما يقولان أن كل المفاهيم والفكرة لا تثبت إلا بالتجربة العلمية.[٢] وعرفها المعجم الفلسفي بأنها: "مذهب يرى أن معيار صدق الآراء والأفكار إنما هو في قيمة عواقبها عملاً. وأن المعرفة أداة لخدمة مطالب الحياة، وأن صدق قضية ما

[١] لجنة مجمع اللغة العربية، **المعجم الوسيط**، المجلد ٢، (القاهرة: مجمع اللغة العربية، د.ت)، ٢٩٤.

[٢] لجنة الندوة العالمية للشباب الإسلامي، **الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة**، (د.م: الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ١٩٨٨م)، ١٠.

هو كونها مفيدة. والبراجماتي على صفة عامة، وصف لكل من يهدف إلى النجاح، أو إلى منفعة خاصة.[٣]

واتخذ الفيلسوف الأمريكي"تشارلز بيرس" هذا المصطلح بنحت جديد، أنه من إغريقي، ويحدد من الكلمة اليونانية (*Pragma*) ليدل بجدة اللفظ على جدة المذهب، وإلا فقد كان بوسعه أن يختار كلمة أخرى من اللغة المستعملة ليشير بها إلى الجانب العلمي التطبيقي، الذي أراده.[٤]

وطور هذا الإصطلاح عند وليم جيمس وجون ديوي. ولوأنهما اتفقا على الأصول بل لكل واحد منهما لونًا يميزه في نظرته للبراجماتية،[٥] كما سيأتي معناه. ووصف جون ديوي "البراجماتية" بأنها فلسفة معاكسة للفلسفة القديمة التي تبدأ بالتصورات، وبقدر صدق هذه التصورات تكون النتائج .أما"البراجماتية" فهي تدع الواقع يفرض على البشر معنى الحقيقة، وليس هناك حق أو حقيقة ابتدائية تفرض نفسها على الواقع،[٦]

[٣] مراد وهبة، **المعجم الفلسفي**، (القاهرة: مجمع اللغة العربية، الطبعة الثالثة، ١٩٧٩ م)، ٣٢.

[٤] زكي نجيب محمود، **من زاوية فلسفية**، (القاهرة: دار الشروق، الطبعة الرابعة، ١٩٩٣ م)، ٢٠٦.

[٥] مصطفى النشار، **مدخل جديد إلى الفلسفة**، (القاهرة: دار قباء، الطبعة الرابعة، ١٩٩٨ م)، ١٦٣.

[٦] زكي نجيب محمود، **من زاوية**...، ٢٢٢.

وقد يطلق عليها من منظور جون ديوي مصطلح (أداتية)، حيث يقول: إن المعرفة أداة للعمل ووسيلة للتجربة[٧] فالفكرة أداة فعل لديه.[٨]

والفلسفة "البراجماتية" هي: فلسفة تصور العصر العلمي الذي نعيش فيه اليوم بصفة عامة، وتصور الحياة العملية التي يعيشها الأمريكيون في مدنيتهم الصناعية الحديثة بصفة خاصة.[٩]

وقد أشار"بيرس" في مقالته التي بعنوان (كيف نجعل أفكارنا واضحة) إلى أن عقائده إنما هي في الواقع قواعد للعمل والأداء. وأنه لكي ينشئ فكرة معينة، فكل ما يحتاج إليه إنما هو تحديد أي سلوك وأي فعل تصلح لإنتاجه .وأنه يتأكد من وضوح أي فكرة، فعليه أن ينظر في الآثار والنتائج العملية التي تحققها في الواقع، سواء كانت هذه النتائج مباشرة أو غير مباشرة.[١٠]

وهؤلاء الأعلام الثلاثة الذين قاموا بحمل الفلسفة "البراجماتية" على كواهلهم، كان لكل واحد منهم لون يميزه عن الآخر، وإن اتفقوا في

---

[٧] مراد وهبة، **المعجم**...، ٥. مبوشنسكي، **الفلسفة المعاصرة في أوربا**، مترجم. عزت قرني، (الكويت: سلسلة عالم المعرفة يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون بدولة، د.ت)، ١٦١.

[٨] حسن محمد الكحلاوي، **فلسفة التقدم دراسة في اتجاهات التقدم والقوى الفاعلة في التاريخ**، (مركز الاسكندرية للكتاب، ١٩٩٧ م)، ٩٧.

[٩] **نفس المرجع**.

[١٠] وليم جيمس، **البراجماتية**، مترجم. محمد فتحي الشنيطي، (القاهرة: مكتبة القاهرة الحديثة، الطبعة الأولى، ١٩٥٧م)، ٦٥-٦٦. وأيضا مصطفى النشار، **مدخل جديد إلى**...، ١٦٢-١٦٣.

أصلها الذي يقوم على أن معيار صدق الفكرة إنما يكون من خلال ما ينتج عنها من نتائج ملموسة.[١١]

أسس وقواعد المذهب البراجماتي

١. التجريبية العلمية

تعد الفلسفة البراجماتية تطويراً للاتجاه التجريبي العلمي، ودفعاً به إلى نتائجه الطَّبعيّة،[١٢] ولكنها تمثله في شكل أكثر تطرفاً، وأقل ممانعة فيه، واعتراضاً عليه، في نفس الوقت كما يقول رائدها وليم جيمس.[١٣] ذلك أنها تتجاوز سلبيات المناهج السابقة، وتأخذ أفضل ما فيها لتكون منبعاً جديدًا يوجهنا للعمل، بدلا من التأمل في ظواهر الكون، فهي منهج عملي انتقائي، يرفض الجمع بين المتناقضات عندما يدعونا للاختيار.

والبراجماتية ترفض النظر التأملي، وتطلب التجربة بدلا من الوقوف والتأمل. فإن البراجماتي عند معالجته بعض الإشكاليات بدلاً من أن يعالجها بالتأمل لمعجب، يقفز إلى الأمام في نهر الخبرة. إذ يعيش فيها

---

[١١]مصطفى النشار، **مدخل جديد إلى**...، ١٦٣-١٦٤. وأيضا زكي نجيب محمود، **من زاوية**...، ٢١٩.

[١٢]عزمي إسلام، **اتجاهات في الفلسفة المعاصرة**، (الكويت: وكالة المطبوعات، الطبعة الأولى، ١٩٨٠ م)، ٨٥.

[١٣]وليم جيمس، **البراجماتية**...، ٧١.

كما تعيش الأسماك في الماء. ويرى البعض أن هذا لا يعني رفضاً مطلقاً للتفكير، وإنما للأفكار التي لا جدوى منها.

وبهذا نرى أن البراجماتية تذهب للتجربة، وتنبذ الجمود والتأمل، أو الحكم على الأشياء دون سابق تجربة لها. لأن التجربة لأية فكرة هي المعيار الذي من خلاله يتم الحكم على تلك الفكرة بالصدق أو الكذب. وهي بهذا تتفق مع الفلسفة الوضعية التي تنكر وجود الحقائق أو القيم التي لم تستخدم التجربة، حتى انتهى بها المطاف إلى أن تضحي بالقيم. إذ رفضت التسليم بالحقائق المطلقة والقضايا الميتافيزيقية عالم الغيب. بينما نجد أن الفلسفة البراجماتية لا تتردد في قبول الأفكار واعتبارها صادقة متى ما كانت مفضية لنفع يتحقق في حياة الناس.[١٤]

٢. تتبع النتائج العملية

والمقصود هنا أن الفكرة لابد أن تكون قابلة للتنفيذ، وأن يكون لدينا اعتقاد بإمكانية تطبيقها فعلاً، وأن الفكرة أو القضية التي ليست لها نتائج عملية أو تأثير في السلوك هي قضية أو فكرة لا وجود لها. وهذا المبدأ يتضح بجلاء من خلال تعريف البراجماتية، حيث إنه مشتق من الكلمة التي تعني العمل، بل إن معيار الصدق في

[١٤] توفيق الطويل، **مذهب المنفعة العامة في فلسفة الأخلاق**، ٢٦٢.

البراجماتية لأية فكرة. إنما يكمن فيما يترتب عليها من نتائج عملية كما مر معن.[١٥]

بل إن مؤسس البراجماتية "بيرس" حدد منهجه بفكرتين رئيستين، الأول، أن الفكرة الحقيقة هي التي تجد طريقها إلى التطبيق العملي، وتقودنا إلى الهدف. والثاني، أن فكرتنا عن موضوع ما، هي فكرتنا عن النتائج المترتبة على الآثار العملية.

فالعمل إذاً هو المعيار لصدق الفكرة وليس الوعي المجرَّد، كما أنه يرى أن الفكرة لابد أن تكون واضحة، ثم لابد أن نعتقد بإمكان تطبيقها فعلاً، وقد عبر عن ذلك بقوله: إن معنى الفكرة التي تعتقد في صحتها هو ما أنت على استعداد للقيام به من عمل إزاءها.[١٦]

ويرى الفيلسوف وليم جيمس أن المنهج البراجماتي يضع حداً لتلك النقاشات الميتافيزيقية التي لا تنتهي، ذلك أنه يفسر كل فكرة من خلال. تتبع واقتفاء نتائجها العملية، كلٌ على حدة.[١٧] ويقول أيضاً "ما الفرق الذي يحدث لأي امرئ من الوجهة العملية إذا كانت الفكرة صحيحة بدلا من تلك؟ إذا لم يكن ثمة فرق عملي يمكن تتبعه، فالأبدال إذاً تعني من الوجهة العملية نفس الشيء، ومن ثم فإن

---

[١٥] وليم جيمس، **البراجماتية**...، ٦٥-٦٦.

[١٦] عزمي إسلام، **اتجاهات في الفلسفة**...، ٩٣،١٠٠.

[١٧] وليم جيمس، **البراجماتية**...، ٦٣-٦٤.

أي نزاع أو خصام بشأنها، نزاع عقيم تافه معدوم الجدوى. أينما يكن النزاع جديا، فينبغي علينا أن يكون في وسعنا أن نبين فرقًا عملياً لابد وأن يحدث من جراء صحة جانب أو آخر."[١٨]

وبهذا نلحظ أن "المنهج البراجماتي" لا يهتم بمصدر الأفكار، ولا يكفيه ظهورها،.وإنما يهتم بنتائجها العملية المؤثرة على سلوكنا وحياتنا. ولتأكيد تتبع الأثر العملي وتأثيره في صدق الفكرة أو القضية، يقول وليم جيمس،[١٩] إذا اعتقدت في صدق قضيتين، فانظر في أثر كل منهما على سلوكك العملي، فإن اختلف سلوكك في كلا الحالتين فالقضيتان مختلفتان، وإن لم تختلف النتيجة فالقضيتان قضية واحدة، ولكن بصورتين لفظيتين مختلفتين.

إذا لم يختلف الأثر العملي نتيجة لاعتقادك بصدق قضية عن الأثر العملي المترتب على اعتقادك بكذبها، فالقضية لامعنى لها ولا وجود لها، لأن العبرة في الفكرة تقوم فيما ينجم عنها من أثر في السلوك.

وبهذا نرى أن تأكيد المنهج البراجماتي لفكرة تتبع النتائج العملية، إنما ينبع من تتبع النتائج لهذه الفكرة. وذلك يُعد امتداداً للفكر العلمي والتجريبي. وهو ما تذهب إليه النظريات العلمية، فلكي نستوثق من قدر نظرية من النظريات، نحاول أن نتخيل أنها مطبقة

---

[١٨] **نفس المرجع**.، ٦٤.

[١٩] حبيب الشاروني، **محاضرات في الفلسفة المعاصرة**، (الإسكندرية: دار الفكر الجامعي، ١٩٧٨ م)، ١٧.

فعلاً في الواقع العملي، حتى يتسنى لنا رؤية ما عسى أن يكون هناك من نتائج لتطبيقها. ونحن نلاحظ أن أشد نظريات الطبيعة أو الفلك تعقيداً يحكم عليها في نهاية الأمر بمقتضى نفعها في التنبؤ بالخسوف، أو في تفسير ظواهر كهربية، وما على غرار ذلك. فليست "البراجماتية" فلسفة مثالية ذاتية، وليست نفعية بالمعنى الساذج للمنفعة، ولكنها فلسفة تقدمية تستمد جذورها من الواقع. ومن نتائج العلوم الطَّبعيّة، وتقود إلى تجاوز الماضي، والابتعاد عن الأفكار الميتافيزيقية التي لا جدوى منها.[٢٠]

٣. القطيعة مع الماضي

وهو من الأسس التي يقوم عليها "المنهج البراجماتي،" إذ ينطلق من المستقبل متجاهلًا الماضي. وجاعلًا الحاضر لحظة إعداد، لتحقيق برنامج نصنعه للمستقبل. فهو يحدث قطيعة مع الماضي، ويرفض البحث في المبادئ الأولية. وفي كل أشكال المطلق، فلا يسأل عن كيفية نشوء الأفكار، ولا عن مصدرها. وإنما يبحث عن نتائجها العملية التي يمكن أن تقودنا إلى تغيير الواقع نحو الأفضل.[٢١]

وبهذا الصدد يقول"المنهج البراجماتي" وليم جيمس،

---

[٢٠] مُحَمَّد فتحي الشنيطي، **وليم جيمس**، (القاهرة: مكتبة القاهرة الحديثة، الطبعة الأولى، ١٩٥٧)، ٧٤.

[٢١] أميل بوترو، **العلم والدين في الفلسفة المعاصرة**، مترجم. أحمد فؤاد الأهواني، (مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٣ م)، ٢١٨-٢١٩.

"إن البراجماتي يدير ظهره بكل عزم وتصميم، وإلى غير رجعة، لعدد كبير من العادات الراسخة المتأصلة العزيزة على الفلاسفة المحترفين. إنه ينأى بعيداً عن التجريد، وعن عدم الكفاية، وُيعْرِض عن الحلول الكلامية، وعن التعليلات القبلية الدرئية السابقة على التجربة، وعن المبادئ الثابتة، وعن ضروب المطلق والأصول المزعومة .وهو يولي وجهه شطر الاستنادية، والمحسوسية، والكفاية، شطر الحقائق والوقائع، شطر العمل والأداء والمزاولة، وشطر القوة."[٢٢]

ويقول جون ديوي: إن "الراديكالي" الذي يؤكد أن منهج المستقبل في التغيير لا بد أن يكون منهج الماضي، إنما يتفق مع الرجعي الذي يؤمن بأن الماضي يملك الحقيقة القصوى، فكلاهما يغفل حقيقة أن التاريخ عملية تغيير مستمر.

فالفلسفة البراجماتية، استبدلت النظر إلى المستقبل بالنظر إلى الماضي، لذا فهي لا تسأل كيف تنشأ المعرفة أو الأفكار، بقدر ما تسأل عن النتائج التي تترتب على هذه الفكرة، أو تلك في عالم الواقع.[٢٣]

[٢٢] وليم جيمس، **البراجماتية**...، ٧١.

[٢٣] عزمي إسلام، **اتجاهات في الفلسفة**...، ٨٦.

فالحق في نظر "وليم جيمس" ليس صورة لشيء قد كان، أو شيء هو كائن. وإنما هو شيء يؤذن بما سيكون، أو أنه يمهد لفعلنا وأثرنا فيما سيكون.

لذا نجده يقول، إن أية فكرة تحملنا بيسر ورخاء من أي جزء من خبراتنا إلى جزء آخر، بحيث تربط الأمور ربطاً كافيًا وافيًا، وبحيث تعمل في أمان، وتوجز وتوفر الجهد والعمل، هي فكرة صحيحة إلى هذا الحد، صحيحة بهذا بالقدر[٢٤] فهو يرى الحقيقة ناظرة إلى الأمام، وليست متعلقة بأشلاء الماضي.

ولذا فإن المنهج البراجماتي يقوم على القطيعة مع الماضي، وتجاوزه، والبدء من المستقبل من خلال الزمن الذي نعيشه، والذي نتوخَّى أن نعيش فيه، وليس من خلال ماض عاش فيه غيرنا. ولهذا يكون الإعداد لا من الماضي ولا من الحاضر، بل من المستقبل أولا.[٢٥] يقول جيمس مؤكداً ذلك: لنا الآن أن نقرر بثقة ويقين أن الرغبة في تحديد المستقبل وفي تعيينه، تكون عنصراً مهماً من عناصر الميول الفلسفية،

---

[٢٤] وليم جيمس، **البراجماتية**...، ٨.

[٢٥] وليم فرح حنا، **البراجماتية: صيغة أمريكية لفلسفة واقعية**، (مصر: دار المعرفة الجامعية الإسكندرية)، ١٧-١٨.

وأن كل فلسفة تتجاهل إشباع تلك الرغبة، ولا تعمل على ذلك، لا يمكن أن تحوز قبولا عاماً، وبالتالي فإنها فلسفة متشائمة.[٢٦]

وترفض الفلسفة "البراجماتية" كل الفلسفات التي تكتفي بتحليل مكونات العالم، ولا تعمل على تغييره، وتكتفي بالنظر إلى الماضي بدلا من المستقبل. ولهذا فإن المنهج البراجماتي هو أسلوب جديد في التفكير، يتسم بالتجاوز المستمر للماضي، ولذا نجده يؤكد إمكانية الابتكار والتقدم المتجدد، وهنا تكمن ثورية هذا المنهج وهذه الفلسفة التي ترى أننا نعيش في اللحظة الراهنة، ونعد للمستقبل، إذ إن المهمة الراهنة في التحضير للمستقبل عن طريق التنبؤ بما ينبغي أن يحدث وفقاً لخطط نضعها. ولكن ذلك لا يعني إلغاء الحاضر على حساب المستقبل، ولكننا نستخدم التنبؤ بالمستقبل لتهذيب النشاط الحاضر وامتداده إلى المستقبل. وهنا نلاحظ الترابط بين الحاضر والمستقبل، مع استبعاد العودة للماضي.[٢٧]

٤. الوعي الواقعي

وُيقصَدُ به أن البراجماتي ينبغي أن يكون ذا وعي شديد وتنبيه دقيق عند مناقشة الأفكار، وتجربتها، والتأكد من صدقيتها. فهو لا

---

[٢٦] وليم جيمس، **إرادة الاعتقاد**، المجلد ٢، مترجم. محمود حب الله، (بيروت: دار إحياء الكتب العربية، ١٩٤٦ م)، ٥١-٥٢.

[٢٧] جون ديوي، **الطبيعة البشرية والسلوك الإنساني**، مترجم. مُحَمَّد لبيب النجحي، (القاهرة: مؤسسة الخانجي، ٩٦٣م)، ٣٢٦.

يعبأ بالأفكار المجردة والمناقشات التي لا تلامس الواقع، ولا تدعو لتغييره. وإنما ينظر للأفكار والنظريات من خلال قدرتها على تغيير أسلوب حياتنا وصنع المستقبل. كما أنه لا يقدم حلولا جاهزة على غرار الفلسفات المثالية، بقدر ما يعد برنامجاً أو منهجاً للمزيد من العمل.

وتأكيدا لهذا فإن وليم جيمس يرى أن النظريات تصبح أدوات ووسائل لاحلولا لألغاز ولا إجابات عن أحجية، نستطيع أن نسكن إليها ونخلد. وعند ذلك فنحن لا نضطجع عليها، وإنما نتحرك إلى الأمام ونمضي قدما، وعند الاقتضاء نعيد صنع الطبيعة ثانية بعونها.[٢٨]

واستمر هذا المنهج بعد جيمس لدى جون ديوي الذي اشتهرت فلسفته بالفلسفة الذرائعية أو الأداتية. إذ يرى أن الفكر، ما هو إلا أداة من أجل العمل، ولا يبدأ الإنسان في التفكير إلا حين يصطدم بصعوبات مادية يكون واجباً عليه التغلب عليها، وبالتالي فإن الأفكار ليس لها إلا قيمة "أداتية" أووسيلة، وحسب، من هنا جاءت تسمية مذهب ديوي بالذرائعية.[٢٩] فالعقل عند البراجماتي أداة لفهم

[٢٨] وليم جيمس، **البراجماتية**...، ٧٤.

[٢٩] بوشنسكي، **الفلسفة المعاصرة**...، ١٦٢.

العالم وتغييره، والنظريات الفلسفية وسائل تقودنا لإنجاز أهداف نحددها نحن في المستقبل.

فلم يعد الفكر عند البراجماتي عملية تجريدية تظل قائمة في الفراغ، وإنما الفكر صورة من صور الفعل والسلوك، فهو وظيفة حيوية. ولذا فإن الأفكار والاعتقادات ليست سوى أدوات في الحياة العملية، وليست حقائق ضرورية توصل إليها بالبرهان والاستدلال، أو كشف عنها كصور مطابقة لحقائق خارجية مستقلة عنه.

لذا يوصي المنهج البراجماتي بضرورة النظر إليها كفروض عملية يوجهها الاختيار الذي تنبعث إليه عوامل إنسانية متعددة والأهمية التي تكتسبها نظرية أو إيديولوجية سياسية، إنما تكمن في مدى قدرتها على التطبيق فعلياً، وقدرتها على خلق واقع جديد.

من نظريات المذهب البراجماتي

١. نظرية الدين

إن العائلة التي تربى فيها وليم جيمس آانت عائلة دينية، لذالك كان جيمس منذ صباه يميل إلى الدين والتدين فللدين صدي واسع في حياته الشخصية، وإن الطابع الذي غلب على فلسفته بشكل عام هو طابع ديني، وكانت دراسته في الدين دراسة سيكولوجية ولم تكن دراسة

رجل دين أو آعالم في تاريخ الأديان، كما حاول أن يطبق المنهج البرجماتي على الدين،[٣٠] إذ أقام الدين على أساس التجربة.

قيمة الاعتقاد الديني في نظر جيمس تتوقف على ما يحققه من نتائج عملية على سلوك الفرد، فالاعتقاد الديني يكمن في كونه تمثل يطابق الواقع تقريبا، حال النظريات العلمية، فصحة المعتقدات الدينية تتوقف في القدرة على التعامل مع أنواع من الظروف،[٣١] إلا أن مبدأ القيمة الفورية في نظر جيمس ليس بالضرورة أن يطبق على الدين، فالنتائج التي يحققها الدين لا تكون بالضرورة آنية، لكنها قد يكون مستقبلة، تعطي وتخلع على حياته صبغة من التفاؤل والطمأنينة ومثل ذلك فكرة الله التي تعطى الأمل التفاؤل مما يؤدي ذلك إلى تغيير في مجري الحياة. كما أكد جيمس على مسألة الحرية الدينية، فهو يرى أنه لا يوجد حاجة للأصرار على الاتفاق الجماعي الديني، ضماناً لانفسنا بأن عقولنا مرتبطة بالعالم الذي نعيش فيه.[٣٢]

قال جيمس "أليس القول بوجوب الحياد في حين أن ميولنا النفسية تؤدي بنا إلي الاعتقاد قولا في غاية من الحماقة؟ أو ليس القول بأنه

---

[٣٠] محمود زيدان، **وليم جيمس نوابع الفكر العربي**، (الإسكندرية: دار الجامعة المصرية، ١٩٧٢م)، ١٣٨.

[31] Robbins, J. Wesley, *Pragmatism, Critical Realism and the Cognitive Value of Religion and Science*, (New York: The Bishop Hurst Lecture American University, 1997) , 1.

[32] *Ibid*., 6.

لايمكن أن تكون هناك صلة بين أعراضنا النفسية وقوامنا وبين القوي الموجودة في العالم الخفي."[٣٣] وقال أيضا "وليس للوثوق في مطلبنا الدينية من معني إلا أنه يجب علينا أن نعيش على ضوئها، وأن نتصرف كأن ما تقترحه من عالم الغيب حق لا مراء فيه، وإنه لحقيقة واقعية أن الناس يقدرون أن يحييوا على أن يموتوا بماعدة بعض العقائد الدينية من غير تحديد وتفصيل في جزئيتها، وإن مجرد اليقين بأن ذلك النظام المشاهد ليس هو النظام المطلق بل مجازا أو ظلا."[٣٤] فيرى جيمس أن النفس مال الاعتقاد أي الدين، بل أنه يتساهل بالدين، إلى أن قال أنه مجرد يقين بأن ذلك النظام المشاهد ليس المطلق.

أما جون ديوي فقد كان خوضه في مجال الدين محدود جدا، إذ تأثر بفلسفة (سانتيانا) الدينية، وكان السبب الرئيسي في تناول ديوي للدين هو الصراع القائم بين الدين والعلم، فحاول أن يجعل التفكير الديني تفكيرا علميا، يساير العلوم الأخرى التي تعمل على تطور الحياة الإنسانية، فالدين عنده دين طبيعي؛ دين الإنسانسية.[٣٥] فالإنسانسية ليست دينا بل هو أيديولوجي الغربي.

في الحقيقة رفض ديوي كل شكل من أشكال الأديان المطلقة والمتعالية فوق طبيعة الإنسان، والتي تتخذ صوراً متعددة في نظرة. فمنها

---

[٣٣] وليم جيمس، **إرادة**...، ١٣١.

[٣٤] **نفس المرجع** .، ١٣٢.

[٣٥] أحمد فؤدي الأهواني، **جون ديوي**، (القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٨ م)، ١٤٠.

من تحاول أن توجد علاقة بين الواقع المثال المتعالي، وأخرى تتمسك بجوهر ميتافيزيقي معتبراً دعامة هذا العالم. كما ظهر على شكل نظرية ثابتة منافسة لكل علم، وهذا ما أوضحه ديوي بقوله "لقد وقع الإيمان الديني تحت تأثير الفلسفات، إذ تبرهن الصلة الثابتة بين الحق والواقع والمثل الأعلى في الموجود الأقصى، وعنايتها في البحث على حياة من الولاء لما تقدر أنه الخير مرتبطة بعقيدة خاصة لها صلة بأصول تارخية، واشتبك الدين ذلك بميتافيزيقا الجوهر وألقى بنفسه مع مصيرها مسلماً بكونيات معينة، ورأى الدين نفسه أنه يحارب معرآة خاسرة مع العالم كما لو كان الدين نظرية منافسة تدور حول بناء العالم الطبيعي."[٣٦]

بالإضافة إلى ما تقدم إلى ما تقدم فإن ديوي يعارض الأديان السماوية المنزل ويرفشها رفضا قاطعا. معتبرها بقايا العصر ما قبل العلمي وما قبل التكنولوجي، التي ليس لها مكان في المجتمع الحديث فهي متحجرات إجتماعية إذا جار التعبير، مصنوعة من دوغمائيات بالية وتعلم أخلاقي غير علمي، وممارسات اعتقادية. ولكن ديوي لم ينفق الكثير من الوقت حول الأديان المنتظمة لأنه يعتقد بأنها مرفوضة منذ زمن طويل. وسوف تختفي عما قريب من المشهد الإجتماعي،[٣٧] وكذلك لم

[٣٦] جون ديوي، **البحث عن اليقين**، (بيروت: دار احياء الكتب العربية، ١٩٦٠ م)، ٣٣١.

[37] Thomas Neill, *Makers of the Modern Mind*, 2nd Edition, (W.P: The Bruce Publishing Company Milwaukee, 1958), 375.

ينفق الكثير من الوقت حولها، لأنها تصطدم مع فلسفته الطبيعية، التي لا اهتمام لها إلا بما كان محسوساً، و لا خاضع للتجربة العلمية. ومع ذلك فهو لغو لا طائل منه، ورفضه الدين أيضا، كونه يبحث في مسائل ميتافيزيقية. وأن التفكير الميتافيزيقي لا يبدى في واقع الأمر أدنى اهتمام بما يتصل بسيرة الإنسان سطيرة عاقلة على الطبيعة، وهو كذلك يعوق البحث الفلسفي ويصبغه بصبغة قطعية جامدة، ويعلق عقول الناس دون ما في العلم الطبيعي من إمكانات كامنة.[٣٨]

أن هنالك سببين رئيسين دفعا ديوي إلى رفض الدين والهجوم عليه. وهذان الشبابان هما الأساس في رفض ديوي للميتافيزيقا رفضا باتا. أولهما أن التفكير الميتافيزيقي لا يقدم ولا يؤخر على الاطلاق فيما يتعلق بالتقدم الذي حققه الإنسان في السطيرة الذكية على الطبيعة. وثانيهما أن التفكير الميتافيزيقي سوء لأنه يقف عقبة أمام البحث والاستقصاء. ويسبب في جمود الفلسفة، فضلا عن أنه يغلق عقول البشر أمام الإمكانات الكامنة في العلوم الطبيعية.[٣٩]

٢. نظرية الأخلاق

نالت المشكلة الخلقية لدى ديوي وحكماء البرجماتية أهمية آبيرة جداً، ذلك أن ديوي قد بحث هذه المشكلة في مجموعة آبيرة من مؤلفاته

[38] Max Otto, *John Dewey:* A Common Faith, (1859-1952). 3.

[٣٩] رمسيس عوض، **ملحدون محدثون ومعاصرون**، (القاهرة: سينا للنشر، الطبعة الأولى، ١٩٩٨)، ٧٣.

الأخلاقية والفلسفية والسيكولوجية وفي مجال التربية والتعليم. لذلك فأن الطابع العام لفلسفته هو طابع أخلاقي، والذي ميزه عن باقي الفلاسفة البراجماتيين، فديوي يختلف عن جيمس مثلاً لأن طابع فلسفة جيمس هو طابع ديني، ويتبين ذلك في الفصل الأخير، إلّا أن الإثنين يتفقان مع مبادئ الفلسفة البراجماتية على صعيد الأخلاق أو الدين لأن صواب الفكرة عندهما هو تحويلها وصيرورتها إلى سلوك عملي ناجح.

أن المنهج الذي استخدمه ديوي للتفكير الأخلاقي هو المنهج العلمي، إذ طبق مناهج البحث العلمي على القديم من حق وخير وجمال.[٤٠] فاعتبر الأخلاق على هذا الأساس أخلاقا علمية تخضع للتجربة، حالها حال العلوم التجريبية الأخرى. وبذلك رفض الأخلاق القائمة على مبادئ صورية بعيدة عن الواقع. ونتيجة لذلك رفض فكرة القانون الأخلاقي الثابت واللامتغير المشتقة من بحث الطبيعة الأساس للإنسان، وجعل ديوي أسس الأخلاق غير ثابتة إنما تعتمد على الحكم الذاتي والعلمي.[٤١] ولذالك فهو نقد مجموعة من المذاهب الفلسفية التي اتخذت لنفسها مبادئ وقيم ثابتة في الأخلاق. وتأسيسا على ذلك فإن

---

[٤٠] توفيق الطويل، **فلسفة الأخلاق: نشأته وتطورها**، (القاهرة: دار النهضة العربية، الطبعة الثالثة، ١٩٧٦م)، ٢٧٦.

[41] William Benton, "*Ensiclopedia Britanica*", dalam Britannica Junior, vol 7, (T.K: Encycpaedia Britannica, 1970), 347.

القيم في نظر ديوي يجب أن تخضع إلى إعادة بناء وتعديل دائم في عملية التفكير التأملي مع تغيير الظروف الإجتماعية وزيادة المعرفة العلمية.[٤٢]

تحدث جيمس عن الأخلاق في كتابه إرادة الإعتقاد ما نصه،

> "الغرض من هذا الموضوع هو تبيين أنه من المستحيل تكوين فلسفة أخلاقية، ووضع قواعد نظرية لها قبل وجود التجارب الفعلية، وتبيين أن كل واحد منا يسهم في بناء مدلول الفلسفة الأخلاقية، كما يساهم في بناء الحياة الخلقية للجامعة الإنسانسية. وبعبارة أخرى تبيين أنه لا يمكن هناك حق مطلق في الأحكام الخلقية، كما أنه هناك ليس حق ينقرض ذلك النوع الإنساني وتنتهي أفعاله وتصرفاته."[٤٣]

فلا فرق بين الأخلاق والطبيعة عنده في أنهما خاضعتان للتجربة الإنسانية.

وقال أيضا ما نصه "إن علم الأخلاق فيما يتعلق بالناحية المعيارية مثل العلوم الطبيعة، في أنه لا يمكن استنباط كله مرة من مبادئ ذهنية، بل لا بد أن يخضع للزمن، وأن يكون مستعدا لأن يغير من الناحية الآخرى. والغرض المبادئ في كليهما طبعا هو أن الآراء الذئعة حق وأن القانون المعياري هو ما يعتده الرأي العام. وأنه من الحماقة بالنسبة لكثير منا أن يحاول وحده التجديد والأخلاق أو في العلوم الطبيعة، ولكن

---

[42] Neil Thomas, *Makers of the Modern Mind*, (London: The Bruce Publishing Company Milwaukee, 1958), 373.

[٤٣] وليم جيمس، **إرادة**...، مترجم. محمود حب الله، (بيروت: دار الكتب العربية، ١٣٦٥هـ \ ١٩٤٦م)، ٧٩.

الزمن لا يخلو أحيانا من أن تجد فيه بعض الأفراد الذين لهم هذا الحق من التجديد. وقد يكون لآءرائهم ولأفعالهم المجددة بعض الأثر المحمود."[٤٤] فيرى جيمس أن الأخلاق مثل الطبيعة التي مستعدة للتغيير من نتائجه لآخر على الأساس، أن الآراء الذائعة حق وأن القانون الحق هو ما يقتده الرأي العام، وقد يتغير الرأي العام بتأثير أحد الأفراد.

وكما يرى ديوي أن الأخلاق يجب أن تنزع دائما إلى التغير والتطور المستمرين لأن "عملية النمو هي التي تصبح هامة وليست النتيجة الساكنة،"[٤٥] فالأخلاق لم يأت على وجهة مكتوبة ومقايس السلوك وتأثير السلوك الحسن انبثق من الحياة نفسها.[٤٦] وأما كيفية نشأتها وتطورها، قال"عندما تكون الحياة الاجتماعية في حالة تدق وكرور ومداولة بين الناس، فإن القضايا الأخلاقية لا تقتصر على الأمثال والانحراف، وإنما تتركز في قيمة التدابير والنظام الاجتماعية والقوانين والتقاليد والموروثة التي تبلور وترسبت في شكل نظام ومؤسست، وكذالك في التغيرات الرغوب فيها."[٤٧]

---

[٤٤] **نفس المرجع**.، ١٠١.

[٤٥] جون ديوي، **تجديد في الفلسفة**، تحقيق امين مرسي قنديل، (القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية، د.ت)، ٢٩٠.

[٤٦] فان وسب، **الحكماء السبعة**، (لبنان: دار مجلة الشعر، ١٩٦٣م)، ٢٣٥.

[٤٧] محمود عثمان، **الفكرالمادي الحديث وموقف الإسلام منه**، (**د**.م: الدار الإسلامية، الطبعة الثانية، ١٩٨٤م)، ٣٨٨-٣٩١.

فالاختصار مما سبق جون ديبوي وليم جيمس يتفقان على أن المنهج الذي استخدماه للتفكير الأخلاقي هو المنهج العلمي. فاعتبر الأخلاق على هذا الأساس أخلاقا علمية تخضع للتجربة، لا تخضع لأي قوة وتتطور لإثبات لها، ومعيار الصدق فيها هو أن تكون موافقة للرأي العام.

مناقشة المذهب البراجماتي

قبل أن نبدأ في المناقشة، ينبغي أن نغمط رموز هذه الفلسفة حقهم، بل علينا أن نشيد بهم، وبتطويرهم للفكر الذي يقوم على حفز الأمل، وتحدي العجز، والنظر للمستقبل، بدلا من التقوقع في غياهب الماضي السحيق، وعلى بعث الشجاعة في نفوس الناس لإخضاع أفكارهم للتجربة، وتتبع النتائج العملية الناتجة عنها. إلا أن هذا الثناء ليس على إطلاقه، فإن هناك بعض الملاحظات النقدية الهامة؛ منها ما له علاقة بالنواحي الفلسفية، ومنها ما له علاقة بالدين وأصوله ومبادئه، وقواعد الأخلاق العامة.

١. مناقشة البراجماتية من المنظور الفلسفي

فمن المنظور الفلسفي نجد أن أهم مبدأ تقوم عليه البراجماتية هو القطيعة مع الماضي، وعدم الالتفات إليه، وأن على البراجماتي أن يدير

ظهره بكل عزم وتصميم وإلى غير رجعة لعدد كبير من العادات الراسخة المتأصلة العزيزة على الفلاسفة المحترفين.[٤٨]

وفي الوقت نفسه نجد أن البراجماتيين ينطلقون في أفكارهم من منطلقات فلسفية قديمة نادى بها كبار الفلاسفة، فهذا الفيلسوف بروتاجوراس (٤١١ق.م) يقول في قاعدته المشهورة "الإنسان مقياس الأشياء جميعًا،" وهو نفس المبدأ البراجماتي الذي يجعل الحقيقة نسبية، وتختلف من شخص لآخر، بحسب ماتحققه له من فائدة ونفع، وساهم كل من سقراط وأفلاطون في تكريس مبدأ التركيز على التجربة، بوصفها مكوناً ضرورياً من مكونات المعرفة، الأمر الذي كان موضع تركيز كبير جانب البراجماتيين المعاصرين، كما ساهم أبيقور (٢٧٠ ق.م) وتلاميذه في الابتعاد عن القول التقليدي بالصدق المطلق أو الحقيقة المطلقة. ذلك أن الحقيقة الفلسفية بالنسبة لهم هي تلك التي تحقق وظيفة عملية لإصلاح حال المعتقد بها.[٤٩]

كما أن الفلاسفة أوغسطين ودانز سكوت وبيكون وكوبر نيق وجاليليو كل منهم قد ساهم بنصيبه في مجال الملاحظة والتجربة، التي هي أساس المذهب البراجماتي،[٥٠] وإن لم يكن أحد منهم براجماتيا.

---

[٤٨] وليم جيمس، **البراجماتية**...، ٧١.

[٤٩] محمد مهران، **مدخل إلى دراسة**...، ٤٦.

[٥٠] **نفس المرجع**.، ٤٥-٤٩.

وبهذا نجد أن الفلسفة البراجماتية تناقض نفسها في البعد عن الماضي والادعاء بالجِدَّة والحداثة. وفي نفس الوقت تكرر أقوال فلاسفة قدامى وتتبنى آراءهم، مما يؤكد أنها في حقيقتها مجرد إعادة للنظرة الرواقية القديمة التي ينادي مؤسسوها بمتابعة الفطرة، والعيش وفق الطبيعة، باعتبار أن الدساتير والنظم الاجتماعية إنما هي من وضع الإنسان وصنعه لاغير،[٥١] مضافاً إليها الروح النضالية الحديثة،[٥٢] في جعل المنفعة معيار الصدق والحقيقة، مما يجعل المجتمع غابة من الوحوش الضارية، التي يأكل بعضها بعضاً، إذ تتنافس على التفوق والغلبة وتحقيق النجاح، بصرف النظر عن الهدف، وجعل المنفعة هي معيار الصدق والحق، مما يجعل إرادته لا تتفق على تحقيق أية قيمة من القيم الفاضلة: كالحق والعدل والإيثار، وغيرها من الفضائل الإنسانية الثابتة في ذاتها، الأمر الذي جعل هذه الفلسفة ملهمة للنظام الرأسمالي القائم على مبدأ المنافسة الحرة[٥٣] التي هرت مساوئها عند التطبيق، واستفحلت أخطارها، في عدد من الجوانب، منها:

اللا أخلاقية، على الرغم من أنها تتقيد ببعض الفضائل، كالأمانة والانضباط والدقة ومراعاة المواعيد، إلا أنها ليست مقصودها بذاتها

---

[٥١] جلال سعيد، **فلسفة**...، ١٢.

[٥٢] هنري توماس، **المفكرون من سقراط إلى ساتر**، مترجم. عثمان نوية مكتبة الأنجلو المصرية، (القاهرة: ومكتبة النهضة المصرية، ١٩٧٨ م)، ٣٢٧.

[٥٣] مراد وهبة، **المعجم**...، ١٠٥.

بقدر ما تحققه من منفعة مادية، حيث إنها تفيد الرأسمالي في تعامله مع الغير، فالحق لذاته والباطل لذاته بصرف النظر عما يترتب عليهما من وجوه النفع أو الضرر حديث خرافة عندهم.[٥٤]

الارتباط الوثيق بالحرب، عندما تكون نتائجها في صالح الطرف الآخر، بغض النظر عن الممارسات اللا إنسانية والأذى والتشرد والضرر الذي يقع جراء تلك الحروب.

الانحرافات السلوكية، وأظهرها سلوك الإجرام، وعصابات القتل المنظم، وغسيل الأموال، وتجارة المخدرات، وفتح الباب على مصراعيه للمنافسات والصراعات.[٥٥]

٢. مناقشة البراجماتية من المنظور الديني

إن الدين الإسلامي بحمد الله تعالى يمتلك أعظم ثروة في مجال –تراثاً العقيدة (الدين) والمعرفة والقيم والسلوك والأخلاق. ولقد ترك لنا المصطفى ضخماً من الأحاديث القولية والفعلية التي تحث على حسن الأخلاق والسلوك، إضافة إلى العبادات، بالشكل الذي جمع لنا فيه بين العلم والعمل.

[٥٤] توفيق الطويل، **مذهب المنفعة العامة في فلسفة الأخلاق**، ٢٥٩.

[٥٥] فؤاد زكريا، **الجوانب الفكرية في مختلف النظم الاجتماعية**، ٦.

وقد قامت الفلسفة البراجماتية على أساس أن المعيار في بيان صحة الأعمال وحسنها إنما يكون من خلال النتائج المترتبة عليها، فأخضعت كل شيء لمبدأ النفعية، وجعلت النتيجة هي معيار الحكم على حسن ذلك العمل والأخذ به،[٥٦] أو قبحه وتركه. وقد طبقوا ذلك المبدأ على الدين، فأصبح الدين نافعاً في بعض الأحوال مما لا يمكن استبدال غيره به. وفي هذا يقول برتراندرسل، "لا يقنع مؤمناً مخلصاً إيمانه، لأن المؤمن لا يطمئن إلا متى استراح إلى موضوع عبادته وإيمانه، إن المؤمن لا يقول، "إني إذا آمنت بالله سعدت،" ولكنه يقول، "إني أؤمن بالله ومن أجل هذا فأنا سعيد..." إن الاعتقاد بوجود الله تعالى في نظر المؤمن الصادق مستقل عما يحتمل أن يترتب على وجوده من نتائج وآثار.[٥٧]

وقد ينخدع البعض بالبراجماتية عندما يقرأون هذا الكلام لبرتراند سل. وعندما يقرأون بأن رائدها وليم جيمس قد اعتقد بوجود الله من خلال تطبيق المنهج البراجماتي. إذ إن في هذا مساواة بين كل ما في العالم من نحل وملل، سواء كانت سماوية أم أرضية صادقة أو مزيفة. لأن المعيار البراجماتي في صحتها هو مقدار ماتحققه من منفعة وراحة وطمأنينة مباشرة أم غير مباشرة لمعتقدها.

---

[٥٦] أميل بونرو، **العلم والدين في الفلسفة المعاصرة**، مترجم. أحمد فؤاد الأهواني، (مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٣)، ٢٤٧.

[٥٧] براتراندسل، **تاريخ الفلسفة الغربية**، مترجم. محمد فتحي الشنيطي، ٤٧٥.

والسبب في ذلك هو أن المعيار في الصدق والحقيقة لدى البراجماتية مقلوب. فعندهم يكون الحق حقا إذا كان نافعاً، ومتى لم يكن نافعا فهو ليس بحق. بينما الحق والعقل والمنطق يقتضي أن الحكم على الحق والصدق ليس مرتبطاً بالمنفعة. فكل حق يكون نافعاً وليس العكس.

كما أن العقل البشري، بما أودعه الله فيه من خصائص، له حدود لا يتجاوزها، ولا يستطيع أن يتخطاها. لذا فقد أرسل الله الرسل عليهم الصلاة والسلام، وأنزل عليهم الوحي ليكون نبراساً يضيء الطريق أمام العقل، ليسير على هدىً وصراط مستقيم. فلا يتخبط في سيره، ولا يتناقض في فهمه. فإنه لا يستطيع الوقوف وحده من غير عون من الوحي. فالعقل مع الوحي كالتابع مع المتبوع. كما أن العقل قد تؤثر عليه العوامل الخارجية من عاطفة أو غضب أو مجتمع.

ونحن نرى أن وليم جيمس الذي يمثل الفيلسوف البراجماتي المتدين، يبدأ آراءه الدينية بقوله، "إن الذي يكون صميم الدين ليس الطقوس ولا الفرائض ولا المعتقدات، بل الذي يكون صميم الدين العاطفة والشعور الديني. بل إنه يخضع الإيمان بالله والاستدلال على وجوده لذلك الشعور، وأن الأفكار اللاهوتية متى ما أثبتت أن لها قيمة في الحياة المحسوسة فهي أفكار صحيحة."

وهذا الرأي غير مقبول إطلاقاً، حيث إن الإيمان لا يتوقف فقط على العاطفة. ذلك أن العاطفة والوجدان عواطف متقلبة دائماً. وبالتالي فمن هذا المنطلق فإن الإنسان سوف يؤمن عندما يكون في حالة مزاجية عاطفية وجدانية، ويعود إلى الإلحاد عندما تتغير حالته المزاجية، وقطعاً الإيمان ليس كذلك، إنما هو صرح يقوم على أسس عقائدية يؤمن بها الإنسان، ويلتزم بها، ويسلم لها، لأنها من عند الله عز وجل، ولن تكون إلا في صالحه. قال ابن كثير، "أخبر تعالى عن صفة المؤمنين المستجيبين لله ولرسوله، الذين لا يبغون ديناً سوى كتاب الله وسنة رسوله،[٥٨] فقال: "إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون."[٥٩]

إن مجرد التفكير في إخضاع الدين للتجربة هو شك في صحته، والدين لا يقبل شكاً، فلا يجوز الجمع بين الشك والإيمان. لأن أمور الإيمان تتجاوز الحس ولا تدخل في مجال التجربة. والمسلم الحق لا يضع عقيدته موضع الشك، ولا يجعل إيمانه بالله تعالى موضع اختيار، بل على العكس تماما. يؤمن بأن الله عز وجل يختبر عباده. قال الله "وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ."[٦٠] قال: "أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ

---

[٥٨] ابن كثيرن، **تفسير القرآن العظيم**، المجلد ٤، (بيروت: طبعة دار المعارف، د.ت)، ٥٧.

[٥٩] سورة النور، الآية ٥١.

[٦٠] سورة البقرة، الآية ١٥٢.

خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء وَزُلْزِلُواْ حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ.[٦١] وقال رسول الله "عجبًا لأمر المؤمن، إن أمره كله خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر، فكان خيراً له، وإن إصابته ضراء صبر، فكان خيراً له."[٦٢]

وتنكر البراجماتية وجود حقائق موضوعية وقيم مطلقة. وتؤكد أن الحقيقة هي اكتشاف اختراع شيء جديد، وليس اكتشاف شيء موجود. ومقياسها يقوم على مدى نفعها في دنيا العمل.[٦٣]

وهذا نصف تام لكل القيم الأخلاقية التي هي من صميم التركيبة الإنسانية. ولها أصول ضاربة في الأعماق. كما أنه إنكار للقيم والمبادئ التي أقرها الشرع، وجهلنا الحكمة منها، لقصور في معرفتنا، مع اعتقادنا بأن الخير كل الخير يكمن فيها.

وإن تحديد الخير يكون من الشرع، وليس من الإنسان. فقد يقر الشرع أمراً يرى الحق فيه. ويرى الإنسان لقصوره أنَّ فيه شراً. بينما هو في حقيقة الأمر"خير،" كما هو الحال في القتال. قال تعالي" كُتِبَ عَلَيْكُمُ

---

[٦١] سورة البقرة، الآية ٢١٤.

[٦٢] مسلم بن الحجاج، **صحيح مسلم**، تعليق مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٤هـ).

[٦٣] توفيق الطويل، **مذهب المنفعة**...، ٢٦١.

الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ."[٦٤]

قال ابن كثير هذا عام في الأمور كلها. قد يحب المرء شيئاً وليس فيه خيرة ولا مصلحة. ومن ذلك القعود عن القتال، قد يعقبه استيلاء العدو على البلاد والحكم.[٦٥]

ومن الصعب إقناع النفوس بأعمال الخير، التي لا تقوم على المال، إلا بناءاً على عقيدة إيمانية راسخة، تحقق أعمالا خيرة، وتسعى لاكتساب فضائل أخلاقية، وإلى تنميتها ابتغاء مثوبة الله تعالى وجنته .وكم في الإسلام من أعمال خيرة يحض عليها، ويحث على فعلها، لتحقيق أفضل حياة إنسانية ممكنة على ظهر هذه الأرض،[٦٦] مع عدم وجود المنفعة الظاهرة حالياً حسب مفهوم البراجماتية.

عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة.[٦٧]

---

[٦٤] سورة البقرة، الآية ٢١٦.

[٦٥] ابن كثير، **تفسير القرآن**...، المجلد١، ٢٥٢٥.

[٦٦] مصطفى حلمي، **الفكر الإسلامي في مواجهة الغزو الثقافي**، (بيروت: دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع، الطبعة الأول، ١٩٩٨ م –١٤١٨ه)، ٢١٤–٢١٥.

[٦٧] محمّد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري،.. الجامع الصحيح المختصر. تحقيق مصطفى ديب البغا. (بيروت: دار ابن كثير، الطبعة الثالثة، ١٩٨٧ه)، ٢٧.

أخرج الإمام مسلم عن أبي هريرة ﷺ فقال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله يقول يوم القيامة: أين المتحابون بجلالي؟ اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظلَّ إلا ظلّي.[٦٨]

وأما القاعدة التي تقول الغاية تبرر الوسيلة غير صحيحة بإطلاق، بل لا بد لصحتها من قيدين الأول، أن تكون الغاية مشروعة لأن الوسائل لها أحكام المقاصد. الثاني: أن يكون ضرر الوسيلة المحرمة التي توصل إلى تلك الغاية المشروعة أقل من مصلحة الغاية المتحققة بها لا أكثر ولا مساويًا، فإذا تحقق هذان القيدان في هذه القاعدة صارت مساوية لقاعدة "إذا تعارضت مفسدتان روعي أعظمهما ضررًا بارتكاب أخفهما،" ومثال ذلك: الكذب مفسدة، ولكن إن تضمن مصلحة تزيد على الكذب جاز كالكذب للإصلاح بين الناس، لأنه سبب لحقن الدماء واجتماع المسلمين وإعادة الألفة والمودة بينهم، وغير ذلك.

أما إذا كانت الغاية والوسيلة متساويتين في المفسدة؛ فهنا تأتي قاعدة أخرى وهي: "درء المفاسد مقدم على جلب المصالح أو قاعدة: "الضرر لا يزال بمثله أو بأعظم منه،" مثال ذلك حرمة الإقدام على قتل شخص لحفظ النفس، لأنه ليست نفسه بأولى من نفس أخيه المسلم، وهذه المسائل دقيقة، والذين يحددونها هم الراسخون في العلم، ولذلك قيل:

---

[٦٨] مسلم بن الحجاج، **صحيح**...، ٢٥.

ليس الفقه معرفة الحلال من الحرام فقط، ولكن الفقه هو معرفة خير الخيرين فيرتكب أعلاهما وشر الشرين فيرتكب أخفهما.

خاتمة

كان هذا البحث عن "البراجماتية،" بدأناه بتعريف لفظة البراجماتية، وأنها وقد اشتقها، تعني العمل. وقد اشتقت من اللفظ اليوناني *pragma*، وقد اشتقها تشارلز بيرس ليدل بجدة اللفظة على جدة المذهب. ثم تطور هذا المذهب على يد الفيلسوف وليم جيمس، وأضاف إليه مبدأ النفعية، وجعل مبدأ النفعية مضافًا إلى الصدق عند بيرس ليدل على صحة الفكرة والقضية. ثم تولى زمام الأمرجون ديوي، وأدخل فيه التطبيق العلمي.

وقد قامت هذه النظرية على أسس ومبادئ، أهمها التجربة والقطيعة مع الماضي. وقد تمت مناقشتها من الجانب الفلسفي والجانب الديني. فتبين لنا أنها من الناحية الفلسفية امتداد للفلسفة الرواقية، مضافاً إليها الروح النضالية الحديثة. أما من الناحية الدينية، فإنها مخالفة للإسلام منخلا لإنكارها للقيم والحقائق المطلقة، وإخضاع الدين للتجربة، للحكم عليه صدقًا وكذبًا، من خلال ما ينتج عنه من مكاسب ومنافع. وبعد أن بينا ذلك كله، يمكننا أن نسجل النتائج التالية، الأول، لفظ "البراجماتية" لفظ دخيل على أصحابه، حيث إنه منحوت من اليونانية،

فقد كان الهدف من واضع المنهج البراجماتي "بيرس" أن يأتي بجديد. فأتى بلفظ جديد من لغة أخرى. والثاني، "البراجماتية" بشكلها الحالي، واجهت نقداً من أشهر وأبرز أعلامها، بل وممن التصق اسمها به، لكونه اللسان المعبر عن المذهب أمداً طويلاً، وهو "وليم جيمس،" حيث لم يرق له تطبيق المنهج "البراجماتي" بالشكل "النفعي" الذي أطلق عليه عبادة تلك الآلهة الفاجرة التي تدعى "النجاح،" كما أنه لم يكن يحب لفظ البراجماتية، ويرغب في تغييره، إلا أنه يرى أن الوقت قد فات.

الثالث، البراجماتية فيها نبذ للماضي وعدم الاعتداد به. الرابع، إن البراجماتية فيها استهتار صريح بالدين، حيث تنظر له من خلال المنفعة التي تتنتج عنه، بغض النظر عن مقاصده الشرعية، ومعانيه السامية. والخامس، كان البراجماتية لا تحمل في طياتها أية قيم أخلاقية أو إنسانية، إذ ليس فيها مجال للقيم الأخلاقية والإنسانية، فأساس التعامل بين الأفراد هو المصلحة بينهم. السادس، البراجماتية فتحت الباب على مصراعيه لتطبيق شريعة الغاب، وأن يسحق القوي الضعيف، حتى يحقق المنفعة، ويكون لعمله أثر ونتيجة.

السابع، من المنطلق "البراجماتي" يكون اللص والقاتل في المنطق البراجماتي، ناجحاً في حياته. وعمله مقبولا طالما أنه لم يتم القبض عليه، وما زال يحقق المكاسب من تلك الجرائم. الثامن، لاتوجد حقائق وقيم

مطلقة عند البراجماتيين. فالحقائق والقيم عندهم نسبية متغيرة بحسب الزمن والأشخاص.

وبذالك، نستطيع أن نستنبط أن البراجماتية هو الإيديولوجية الضلالة، قد ضلوا أصحابهم وأضلوا كثيرا. والحق مع تصور الدين الخالص، فينبغي للباحث معهم أن يضر بهم، ويمزق ثيابهم وعمائمهم ويخدش وجوههم، وينتف أشعار هم وشواربهم ولحاهم. ويعتذر بما اعتبر هؤلاء السفهاء في سائر أفعالهم القبيحة الصادرة منهم. ويجب للباحث أن يعض ويعتمد ويعتقد بما اعتقد به العلماء المسلم أهل السنة من السلف والخلاف والمعاصر عضَ الضرس.[]

مصادر البحث

إسلام، عزمي. ١٩٨٠ م. **اتجاهات في الفلسفة المعاصرة** .الكويت: وكالة المطبوعات، الطبعة الأولى.

أمين، نجيب محمود وأحمد. ١٩٣٦ م. **قصة الفلسفة الحديثة**. القاهرة: لجنة التأليف والترجمة.

الأهواني، أحمد فؤاد. ١٩٦٨ م. **جون ديوي**. القاهرة: دار المعارف.

_____. د.ت. **جون ديوي**. مصر: دار المعارف.

البخاري، مُحَمَّد بن إسماعيل أبو عبدالله. ١٩٨٧هـ. **الجامع الصحيح المختصر**. مترجم.مصطفى ديب البغا. الطبعة الثالثة. بيروت: دار ابن كثير.

بدوي، عبد الرحمان. ١٩٧٨م. **مدخل جديد إلى الفلسفة**. الطبعة الثانية. الكويت: وكالة المطبوعات.

براتراندسل. د.ت. **تاريخ الفلسفة الغربية**. مترجم. مُحَمَّد فتحي الشنيطي.

بوترو، أميل. ١٩٧٣ م. **العلم والدين في الفلسفة المعاصرة**. مترجم. أحمد فؤاد الأهواني. مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

توماس، هنري. ١٩٧٨ م .**المفكرون من سقراط إلى ساتر**. مترجم. عثمان نوية مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة: ومكتبة النهضة المصرية.

جيمس، وليم. ١٣٦٥هـ ١٩٤٦م. **إرادة الإعتقاد**. مترجم. محمود حب الله. بيروت: دار الكتب العربية.

جيمس، وليم. ١٩٥٧م. **البراجماتية**. مترجم: مُحَمَّد فتحي الشنيطي. القاهرة: مكتبة القاهرة الحديثة .الطبعة الأولى.

الحجاج، مسلم بن. ١٤٢٤ هـ. **صحيح مسلم**. تعليق مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي بيروت: دار إحياء التراث العربي.

حلمي، مصطفى. ١٩٩٨ م. **الفكر الإسلامي في مواجهة الغزو الثقافي**. بيروت: دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع. الطبعة الأول.

حنا، وليم فرح. **البراجماتية :صيغة أمريكية لفلسفة واقعية**. مصر: دار المعرفة الجامعية الإسكندرية.

ديوي، جون. ١٩٦٣م. **الطبيعة البشرية والسلوك الإنساني**. مترجم. مُحَمَّد لبيب النجيحي. القاهرة: مؤسسة الخانجي.

_____. ١٩٦٣م. **الطبيعة البشرية والسلوك الإنساني**، مترجم. مُحَمَّد لبيب النجحي. القاهرة: مؤسسة الخانجي.

_____. ١٩٦٥م. **الفن خبرة**، مترجم. زكيا إبراهيم. القاهرة: مكتبية النهضة العربية.

_____. د.ت. **تجديد في الفلسفة**، مترجم. أمين مرسي قنديل. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.

_____.١٩٦٠م. **البحث عن اليقين**. بيروت: دار إحياء الكتب العربية.

رابورت، ا.س. ١٩٦٩م. **مبادئ الفلسفة**. مترجم. أحمد أمين. بيروت: دار الكتاب العربي.

رافع، سماح مُحَمَّد. د.ت. **المذاهب الفلسفية المعاصرة**. المدبولي: مكتبة المدبولي.

زيدان، محمود. ١٩٧٢م. **وليم جيمس ك نوابع الفكر العربي**. الإسكندرية: دار الجامعة المصربة.

سعيد، جلال. ١٩٩٠م. **فلسفة الروا: ق دراسة ومنتخبات**. د.م: مركز نصر الجامعي.

الشاروني، حبيب. ١٩٧٨م. **محاضرات في الفلسفة المعاصرة**. الإسكندرية: دار الفكر الجامعي.

الشنيطي، مُحَمَّد فتحي. م ١٩٥٧. **وليم جيمس**. القاهرة: مكتبة القاهرة الحديثة. الطبعة الأولى.

الطويل، توفيق. ١٩٥٣م. **مذهب المنفعة العامة في فلسفة الأخلاق**. القاهرة: لجنة التأليف والنشر.

_____. ١٩٧٦م. **فلسفة الأخلاق: نشأته وتطورها**. القاهرة: دار النهضة العربية.

عثمان، محمود. ١٩٨٤م. **الفكرالمادي الحديث وموقف الإسلام منه**. الطبعة الثانية. **د**.م: الدار الإسلامية.

عوض، رمسيس. ١٩٩٨م. **ملحدون محدثون ومعاصرون**. الطبعة الأولى. القاهرة: سينا للنشر.

فؤاد زكريا، **الجوانب الفكرية في مختلف النظم الاجتماعية**. بتصرف.

فؤاد كامل. د.ت. **أعلام الفكر الفلسفي المعاصر**. القاهرة :دار الجيل.

قنصوة، صلاح. ١٩٨٤ م. **نظرية القيم في الفكر المعاصر**. الطبعة الثانية. بيروت: دار التنوير للطبعة والنشر.

كثير، ابن. د. ت. **تفسير القرآن العظيم**. بيروت: طبعة دار المعارف.

الكحلاوي، حسن مُحَمَّد. ١٩٩٧م. **فلسفة التقدم دراسة في اتجاهات التقدم والقوى الفاعلة في التاريخ**. مركز الإسكندرية للكتاب.

كرم، يوسف. ١٩٦٩م . **تاريخ الفلسفة الحديثة**. الطبعة الخامسة. مصر: دار المعارف.

الكعبي، حاتم.١٩٦٤م.**النمو الاجتماعي**. د.م: مطابع النعمان.

لجنة الندوة العالمية للشباب الإسلامي. ١٩٨٨م. **الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة**. د.م: الندوة العالمية للشباب الإسلامي.

لجنة مجمع اللغة العربية. د.ت .المعجم **الوسيط**. القاهرة: مجمع اللغة العربية.

مبوشنسكي. د.ت. **الفلسفة المعاصرة في أوربا**. مترجم. عزت قرني. الكويت: سلسلة عالم المعرفة يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون بدولة.

محمود، زكي نجيب. ١٩٦٣م. **فلسفة وفن** .مصر: د.ط.

_____. ١٩٩٠ م. **نافذة على فلسفة العصر** في: سلسلة فصلية تصدرها مجلة العربي . الكتاب السابع والعشرون.

_____. ١٩٩٣ م. **من زاوية فلسفية**. القاهرة: دار الشروق. الطبعة الرابعة.

مهران، مُحَمَّد. ١٩٨٥م. **مدخل لدراسة الفلسفة المعاصرة**. الكويت: وكالة المطبوعات، الطبعة الأولى.

النشار، مصطفى. ١٩٩٨ م. **مدخل جديد إلى الفلسفة**. القاهرة: دار قباء الطبعة الرابعة.

نوفاك، جورج. ١٩٦٩ م. **أخلاقهم وأخلاقنا: وجهتا النظر الماركسية والليبرالية إليه في مثل الأخلاقية**. مترجم. سمير عبدة. الطبعة الأولى. دمسق: دمسق للطبعة والنشر.

وسب، فان. ١٩٦٣م. **الحكماء السبعة**. لبنان: دار مجلة الشعر.

وهبة، مراد. **المعجم الفلسفي**. ١٩٧٩ م. القاهرة: مجمع اللغة العربية. الطبعة الثالثة.

وين. ١٩٦٣ م. **قاموس جون ديوي للتربية**. مترجم. مُحَمَّد علي العريان. مصر: مكتب الأنجلو المصربة.

Neill, Thomas. 1958. *Makers of the Modern Mind*. 2nd Edition. .W.P: The Bruce Publishing Company Milwaukee.

Otto, Max. 1859-1952. *John Dewey:* A Common Faith. W.p: W.p.

Wesley, Robbins, J. 1997 . *Pragmatism, Critical Realism and the Cognitive Value of Religion and Science*. New York: The Bishop Hurst lecture American University.